قصة أصحاب السبت

دروس وعبر

أحمد الشرقاوي

أستاذ بجامعة الأزهر والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سابقا

ملخص

قصة أصحاب السبت: لهذا الموضوع أهمية بالغة لتعلقه بدراسة القصص القرآني، واستنباط ما فيه من دروس وعبر. ومعرفة طبائع اليهود للحذر من سوء أساليبهم وحيلهم الخبيثة؛ فلا شك أنهم أعدى أعدائنا. وحاجة الدعاة والمصلحين والمربين إلى الاستفادة من قصص القرآن وتوظيفه في الدعوة والتربية. ومن أهداف البحث: بيان هذه القصة القرآنية والاستفادة من كلام المفسرين. وإبراز ما فيها من دروس وعبر. وسيتكون هذا البحث من مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة. المبحث الأول: سياق القصَّة. المبحث الثاني: القصة بإيجاز. المبحث الثالث: بيانُ القِصَّة. المبحث الرابع: دروس وعبر مستفادة من القصة. الخاتمة.

ومن النتائج المستخلصة: سنة الله تعالى في إمهال المذنبين لعلهم يتوبون، وهذا من لطفه بعباده ورحمته. فالحذرُ الحذر من عقوبته، سيَّما أولئك الغارقون في بحر الذنوب، فإن عقاب الله شديد، وعذابه أليم. الفسق والعصيان والاحتيال على شريعة الرحمن والعتو والظلم من أسباب المسخ. وجوب الاعتبار بقصص

السابقين، والاتعاظ بعاقبة الهالكين. لا ينتفع بالمواعظ إلا أولوا النهى وأهلُ التقى، فليحرص العبد على تقوى الله فهي زادُه وسبيلُه لكلِّ خير. من أسباب الاحتيال ما جبلت عليه بعض النفوس من طمع وجشع وميل للمكاسب الهائلة بأقل مجهود، كالمرابين وغيرهم. تشير القصة إلى خطورة الصيد الجائر والذي يستنزف ثروات البر والبحر ويفسد البيئة. دقة القرآن الكريم وإنصافه حيث ذكر الناجين بجميل صنيعهم كما ذكر الهالكين بقبيح فعالهم .ذكر القرآن الكريم لهذه الصفحات المنسية في تاريخ اليهود دليل على صدق القرآن وأنه منزّل من عند الله . حاجتنا لدراسة القصص القرآني واستنباط ما فيه من دروس وعبر، فأقترح مشروعا علميا للفوائد المستنبطة من القصص القرآني، ورسالة علمية عن خصائص القصص القرآني ومقاصده.

كلمات مفتاحية: قصة، أصحاب السبت، الحيل غير الشرعية، اليهود.

Abstract

Story owners Saturday ashab alsabt to this thread attached importance to the study of Quranic stories, and to draw out the lessons of the cross. And know the natures of the Jews warned of bad tactics and malicious tricks; there is no doubt that they are the most demonized enemies. And the need for preachers and reformers and educators to take advantage of the Koran stories and rehired in advocacy and education. And research objectives: a statement that the Quranic story and benefit from the words of the commentators. The highlight of the lessons across. This research will consist of an introduction and four sections and a conclusion first . the context of the story. The second topic: the story briefly. Section III: Statement of the story. The fourth topic: lessons learned through the story. Conclusion.

It is the findings: 'God's way to grace the guilty to repent. So beware of his sentence! Particularly those flush in a sea of sins, the punishment of Allah is severe, and painful torment. Immorality and disobedience, fraud on the law of Rahman and injustice of the causes

deformed. The former must account stories, and cues sequel perish. advise does not benefit only the pious wise. Of the causes of fraud it is formed on some of the souls of the greed and the tendency of enormous gains with minimal effort, and others .story to the seriousness of overfishing, which depletes the land and sea wealth and spoil the environment. Koran accuracy and fairness as stated lovely exposed for survivors also said those who are perishing . Koran to this forgotten page in the history of the Jews proof of the sincerity of the Koran and that the house of God. We need to study the Quranic stories and draw out the lessons of the cross, I suggest a science project for the benefits derived from the Quranic stories, scientific and message about the characteristics of Quranic stories and purposes.

***Keywords**: story, the owners of the Sabbath, illegal tricks, Jews.*

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد : فلا نزال نمضي في رحاب قصص القرآن، ننعمُ بظلاله الوارفة، ونروي ظمأنا لمعرفة أحوالِ الأمم السالفة، وننهلُ من عذبِه النَّمير، متزودين من عبَرِهِ وعظاتِهِ ما نَغُذُّ به المسير، ونلمسُ في صحبتِه ورحابِهِ الأُنسَ والسَّميرَ، فهو السِّراجُ المنيرُ، والروضُ الحبير، من اقتطف من ثمرِه، والتقطَ من دُرَرِهِ، واستنبطَ من عِبَرِهِ، سار على هدى ونور، وعاشَ في فرحٍ وحُبُورٍ. ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[يوسف: 111]

وبين أيدينا قصةٌ حافلةٌ بالعِبَرِ والعِظَاتِ، بل بحرٌ يفيضُ بالخيراتِ والبركاتِ، ما أحوجَنَا إلى أن نطوفَ بساحِلِهِ، ونُبحِرَ في ثَبَجِه[1]، لصيدِ فوائِدِه، وقيدِ أوابِدِه، وجمعِ فرائِدِه. إننا على موعِدٍ مع قصَّةٍ تتشوَّفُ النُّفوسُ لتأمُّلها، وترنوُ البصائرُ لمتابعةِ أحداثِها، قصة أصحاب السبت: كيف تعدّوا على حرمةِ هذا اليومِ، فاحتالوا على شرع الله، وانتهكُوا محارمَه، وأمِنوا مكرَه، ثم كيف أفضى بهم الحالُ؟ ونقفُ من خلالها على موقفِ المصلحين الغيورين، الذين وقفوا في وجه المحتالين، وكانوا لهم واعظين، ولتوبتهم راجين، ولربهم مُعْذِرين؟

هذا ما سنعرفُهُ من خلال هذا البحث، واللهُ الموفِّقُ، وهو الهادِي إلى الصَّوابِ.

(1) ثَبَجُ البحر: وسطُه.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

- أهمية دراسة القصص القرآني واستنباط ما فيه من دروس وعبر.
- معرفة طبائع اليهود للحذر من سوء أساليبهم وحيلهم الخبيثة؛ فلا شك أنهم أعدى أعدائنا.
- حاجة الدعاة والمصلحين والمربين إلى الاستفادة من قصص القرآن وتوظيفه في الدعوة والتربية.
- شغفي بقصص القرآن، ولهذه القصة أثرٌ عظيم في نفسي مذ سمعتها في صباي من أحد الدعاء.
- أنني حاضرت في هذا الموضوع، وخطبت فيه عدة خطب، فرأيت أن أكتب، لعل الله ينفعني بالمكتوب.

أهداف البحث

1) تدبُّر القصص القرآني، فكم فيه من عبر وعظاتٍ.
2) بيان طبائع اليهود، للحذر منها.
3) إبراز ما فيها من دروس وعبر.
4) إبراز سمات القصة القرآنية من واقعيتها وصدقها، وعمقها.

مشكلة البحث: لماذا تحدث القرآن عن أصحاب السبت؟ وماذا قال عنهم؟

حدود البحث: الآيات القرآنية التي تتحدث عن قصة أصحاب السبت.

خطة البحث: سيتكون هذا البحث من مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول: سياقات القصَّة.

المبحث الثاني: القصة بإيجاز.

المبحث الثالث: بيانُ القِصَّة.

المبحث الرابع: دروس وعبر مستفادة من القصة.

الخاتمة: وفيها نتائج وتوصيات وقائمة المراجع.

منهج البحث

- جمع الآيات التي تحدثت عن أصحاب السبت وتدبُّرها.
- الرجوع لكتب التفسير وعلوم القرآن، والاستفادة منها.
- جمع الفوائد من كتب التفسير والمؤلفات في القصص القرآني.
- تحري الصحيح الثابت من الأحاديث والآثار.
- تجنب الموضوعات والإسرائيليات، فإن ذُكرت فللتحذير منها.
- أكتفي من اللغة والبلاغة والقراءات بما له صلة بالمعنى وإبراز لجمال العبارة وثرائها.
- قمت بتخريج الآيات القرآنية الواردة في البحث بذكر اسم السورة ورقم الآية.
- قمت بتخريج جميع الأحاديث الواردة، بذكر الراوي الأعلى وعزو كل حديث إلى مصادره من كتب السنة التي روي فيها، وذكر موضعه، مع بيان ما في الحديث من ألفاظ غريبة بالرجوع إلى كتب اللغة وكتب غريب الحديث وغيرها، وإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما: فالحديث صحيح، وإذا لم يكن فيهما ولا في أحدهما رجعت إلى أقوال المحدثين الثقات في الحكم عليه، فإن لم أجد حكما عليه اجتهدت في الحكم عليه بعد النظر في سنده.

- بينت معانى مفردات ألفاظ القرآن الكريم بالرجوع إلى كتب التفسير وكتب علوم القرآن وكتب اللغة.
- عزوت القراءات التي أوردتها في الرسالة إلى أصحابها مع توجيه كل قراءة بالرجوع إلى الكتب المتخصصة في ذلك.
- قمت بترجمة الأعلام الواردة في الرسالة مستعينا بالكتب المتخصصة في ذلك.
- تخريج الأشعار بعزوها لمصادرها، حسبما تيسر لي.

والله أسأل أن يوفقنا للصواب ويجنبنا الزلل، ويرزقنا القبول.

المبحث الأول
سياقات القصَّة

ورد الحديث عن قصة أصحاب السبت في أربع مواضع من ثلاث سور في كتاب الله تعالى هي على ترتيب المصحف: سورة البقرة، وسورة النساء، وسورة الأعراف، بينما أشارت سورة النحل إلى سبب تحريمه، لكنَّ القصة جاءت مفصَّلةً في سورة الأعراف، وهي سورةٌ مكيةٌ.

حين نجمعُ آياتها ونتدبَّرُها: ترتسمُ أمام أعيننا صورةٌ مكتملةٌ، تُجَلِّي لنا ما حوتهُ من فوائدَ وعبَرٍ.

الموضع الأول: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: 63 – 66].

والآيات في سياق خطاب بني إسرائيل وتذكيرهم بنعم الله تعالى وعهوده عليهم، ودعوتهم للإيمان، وبيان مواقف أسلافهم المتعنتة، وجحودهم نعم الله عليهم واستخفافهم بها، وفيه تذكيرٌ وتحذيرٌ: تذكيرُهم بحال وعاقبة من سبقهم من أسلافهم حين اعتدوا، حيث حلَّ بهم العذابُ البئيسُ، ومسخَهم اللهُ تعالى قردةً خاسئين، مبعدين مطرودين صاغرين، فإن تشابه الحال يفضي إلى تشابه العاقبة، فالمقدمات الواحدة حتما تنتهي إلى نتيجةٍ واحدة. فجعل اللهُ تعالى هذه القصةَ عظةً وعبرةً لكلِّ معتبرٍ، حيث نكَّل الله بهم وجعلهم قردة خاسئين لما اعتدوا على حرمة هذا اليوم، وجعل من قصتهم عظةً رادعةً وعبرةً لغيرهم، وجعل الله تعالى قريتَهم ومسخَهم عبرة لأهل قريتهم، ولسائر القرى، عبرةً لزمانهم ولسائر الأزمان عَنِ الْحَسَنِ وقتادة: «وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ» بَعْدَهُمْ، فَيَتَّقُوا

نِقْمَةَ اللهَّ وَيُحَذِّرُوهَا»[1]. وقال ابن كثير: «يقول تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ} يا معشر اليهود ما أحل من البأس بأهل القرية التي عصت أمر الله وخالفوا عهده وميثاقه فيما أخذه عليهم من تعظيم السبت والقيام بأمره إذ كان مشروعاً لهم، فتحيلوا على اصطياد الحيتان في يوم السبت بما وضعوا لها من الشصوص والحبائل والبرك قبل يوم السبت فلما جاءت يوم السبت على عادتها في الكثرة نشبت بتلك الحبائل والحيل، فلم تخلص منها يومها ذلك، فلما كان الليل أخذوها بعد انقضاء السبت، فلما فعلوا ذلك، مسخهم الله إلى صورة القردة».[2]

ويأتي الموضع الثاني: في سياق الوعيد لأهل الكتاب سيّما يهود المدينة الذين أعرض جلُّهم بل ناصبوا دعوةَ الله العداء، وقد سلك القرآن بهم طريق الحجة والبرهان، فطرق قلوبَهم بالوعيدِ الذي يهزُّ القلوب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ٤٧ ﴾ [النساء : 47]. فتوعَّد اللهُ تعالى أهلَ الكتابِ أن يصيبَهم ما أصابَ أسلافهم الذين سبقوا على طريق الغواية والعصيان، فجعلهم اللهُ لكُلِّ ظالمٍ آيةً، بأن يمسخهم الله تعالى، فيحوّل وجوههم إلى أقفيتهم، أو يطمس معالمَ الوجه وملامحه، وخصّ الوجه لأنه أشرف المواضع، وأظهرها، وكونه موضع الحسن، واللعن هو الطرد والإبعاد والحرمان، والعار الذي يلازم صاحبَه والعذاب البدني والنفسي الذي يرهقه . قال ابن عاشور: «أريد باللعن هنا الخزي، فهو غير الطمس...»[3] قيل إن هذه الآية كانت سبب إسلام كعب الأحبار حين سمعها من قارئ ذات ليلة، ولم يكن عقد العزم بعد على الدخول في الإسلام – وإن كان الحق قد ظهر له وبان– فارتجف فؤاده وطار النوم من

(1) ابن أبي حاتم تفسير القرآن العظيم، (1 / 177).
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (1 / 134).
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير (4 / 150) .

عينيه وبات ليلتَه فزِعا أن يصيبه هذا الوعيد، حتى أصبح وأعلن إسلامه.[1]

ويأتي الموضع الثالث : في سياق الإجابة عن تعنُّتِهم ومطالبهم العجيبة، ببيان ما كان منهم في سالف الزمان من تمرُّدٍ وعصيان، وجحودٍ ونسيان، فقد حذَّرهم الله من الاعتداء على حرمة السبت، لكنهم لم يمتثلوا لما أمر به الله، ولم ينتهوا عما نهى عنه الله، بل استمرءوا التمرُّد والعصيان، واستعذَبوا الكفر والبهتان، بل كرروا مطالبهم المتعنتة، كما فعلوا مع أنبيائهم، فتشابهت جرائم اليوم بجرائم الأمس. قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء: 153، 154]. فنهاهم الله عن الاعتداء في يوم السبت، وقد بينت المواضع الأخرى، موقف من انتهك حرمة هذا اليوم. **أما الموضع الرابع**: وعليه مدارُ حديثنا -: فقد جاء في سورة الأعراف في سياق بيان نعم الله عليهم وكيف قابلوها بالجحود والنسيان، والتحايلِ والعصيان، قال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ۘ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ إلى آخر الآيات. وسوف نفصل وجه مناسبة هذه الآيات لما قبلها، حيث سبق الكلام عن بني إسرائيل ومواقفهم المتعنّتة مع نبي الله موسى عليه السلام. وجاءت القصَّةُ على وجهِ التفصيلِ بينما

(1) البغوي، معالم التنزيل (1/ 642). كعب الأحبار رحمه الله تابعي أسلم في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وانتقل للمدينة المنورة وهو ثقة في الحديث وكان مشهورا برواية الإسرائيليات 0 قال الذهبي عنه: « كَعْبُ بنُ مَاتِعٍ الحِمْيَرِيُّ، اليَمَانِيُّ، العَلاَّمَةُ، الحَبْرُ، الَّذِي كَانَ يَهُودِيّاً، فَأَسْلَمَ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدِمَ المَدِيْنَةَ مِنَ اليَمَنِ فِي أَيَّامِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فَجَالَسَ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ فَكَانَ يُحَدِّثُهُم عَنِ الكُتُبِ الإِسْرَائِيْلِيَّةِ، وَيَحْفَظُ عَجَائِبَ، وَيَأْخُذُ السُّنَنَ عَنِ الصَّحَابَةِ. الذهبي، سير أعلام النبلاء (5 / 488).

أُجْمِلَتْ في المواضِعِ الأخرى، ذلك أن من خصائصِ أساليب القرآنِ الكريمِ: التفصيلَ بعد الإجمالِ، وهذا من تصريفِ القولِ، مع انسجامِ القصَّةِ مع سياقِها وامتزاجِها مع مقاصدِ سورتِها وانتظامِها مع محورِها، وصدق الله تعالى إذ يقولُ ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ ﴾ [الزمر:23]. ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ [الإسراء : 41].

ثم يأتي الموضع الخامس في سورة النحل وهي مكية مبيِّنا كيف ضلوا واختلفوا، واختاروا السبت فشدَّدَ اللهُ عليهم، بأن حرَّمه عليهم، ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [النحل : 124]. عن مجاهد : اتبعوه وتركوا الجمعة[1]. وعَنِ السُّدِّيِّ، قَالَ: إِنَّ الله فرض عَلَى اليهود الجمعة، فَأَبَوا وقالُوا: يا مُوسى: إنه لَمْ يَخْلُقْ يَوْمَ السبتِ شيئاً، فاجعل لنا السبتَ، فلما جعل عَلَيْهِمْ السبت استحلُّوا فيه ما حرَّم عَلَيْهِمْ»[2]. وتعدية الفعل بـ «على» لتضمينه معنى الإيجاب والفرض، ولبيان كون تخصيص السبت ليس نعمة لهم، بل عقوبة وابتلاء، لتعنتهم وتنازعهم، قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب» ومن البلاء الذي أخذ اللهّ به بنى إسرائيل، أن جعل من شريعتهم حرمة العمل في يوم السبت، ولم يكن ذلك رحمة بهم، بل نكالا وبلاء.[3] وسياق الآية الكريمة متسق مع قوله تعالى قبلها ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ

(1) مجاهد، التفسير (1/ 202) . الصنعاني، عبد الرزاق، التفسير (2/ 279)، ابن أبى حاتم، تفسير القرآن العظيم 13544.

(2) وأوردها ابن حجر في فتح الباري 2/ 355، وقال رحمه الله : «وليس ذلك بعجيب من مخالفتهم كما وقع لهم في قوله تعالى: {وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ} وغيره ذلك، وكيف لا وهم القائلون :سمعنا وعصينا. انتهى كلامه. فتح الباري 2/ 355. ذكره السيوطي في الدر المنثور 5/ 177 ونسبه إلى ابن أبي حاتم فقط.

(3) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن – (2/ 16).

﴿ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: 116 – 118] إذ أن افتراءات اليهود، واستحلالهم ما حرم الله وتحريمهم ما أحل الله حرمهم من الفلاح وأوقعهم في الخيبة والخذلان، فحرم الله عليهم السبت عقوبة لهم، لاختلافهم العظيم، وجدلهم العقيم، وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل : 120 – 123]. فإن تحريم يوم السبت على اليهود دليل على نكوبهم عن ملة إبراهيم عليه السلام.

المبحث الثاني

القصة بإيجاز

قريةٌ عامرةٌ زاخرةٌ، وهبها اللهُ تعالى مزايا قلَّ أن تجتمع في غيرِها من القرى، فهي آمنةٌ مطمئنةٌ يأتيها رزقُها رَغَدًا، وقد أشرفت على ساحلِ البحرِ، مما رشَّحها موقعا تجاريًّا متميزا. خيرٌ يتدفق وعطاءٌ منهمر، وعيشٌ رغيدٌ، فما على أهل القرية إلا أن يشكروا ربَّهم ويُخلِصُوا له الدِّين. بيد أنَّ هناك من يُفْسِدُهُ النعيمُ، ويُطغِيه المالُ، وتُلهيهِ الآمالُ، فلا يُقيمُ للشريعةِ وزنًا، ولا يحفظُ للأنبياءِ عهدًا، بل يستخفُّ ويستهين، ويلتمسُ الحيلَ ويصطنعُ المعاذيرَ، للتفلُّت من الأحكام، والتوثُّبِ على الحرامِ، بدافع الحرص والطمع، وبوازع الأنانيةِ والجشع، كما فعل أصحابُ هذه القرية التي كانت هادئةً هانئةً. حرَّم الله على اليهود العملَ يوم السبت، بعد أن آثروا هواهم على ما فرض الله عليهم، فَضَلُّوا عن يوم الجمعة، وفضَّلوا يوم السبت، وافتَرَوا على الله الكذب، فحرَّم الله عليهم العمل فيه، وابتلاهم بظهورِ الحِيتانِ شارعةً بالقرب من شواطئهم، فأمسُوا يتصنَّعون الحيلَ توسُّلا بها إلى الحرام، حتى انتهكوا حرمة السبت، فنصبوا الشباك من يوم الجمعة

ليلتقطُوها يوم الأحد، وكثرت الحيلُ الشيطانيةُ فيهم وشاعت بينهم، حتى بات الحرامُ أمرا مألوفا، وأمس المنكرُ معروفا، وصارتِ الحِيَلُ ضُرُوبا، وفُنُونا . فماذا عن موقِفِ الدُّعَاةِ الْمُصلِحين؟ لقد جنَّدوا أنفسهم لدعوة القومِ ونُصحهم، وملاحقتهم هنا وهناك بالكلمةِ الطَّيِّبَة والموعظَةِ البليغَةِ، ولعل هناك من استجاب، لكنَّ الغالبية الدهماء بقيت سادرةً في غيِّها، مُنكبَّةً على مطامعها، وثَمَّة طائفةٍ أخرى لم يقعوا في المحظور بل كرهوه وقاطعوه، وإن لم يكونوا مع الواعظين؛ فقد دبَّ فيهم اليأسُ وتسلل الإحباطُ، فاستسلموا للأمر، دون مقاومة تذكر، منتظرين قضاء الله في الظالمين، حتى اعتزلوا الناس وترقَّبوا عذاب الله للفسقة المحتالين، بل وتعجَّبوا من حال إخوانهم المصلحين، كيف يُضَيِّعون أوقاتَهم مع أولئك الهالكين الذين لا جدوى من نصحهم ولا ثمرةَ لدعوتهم، فبادروهم بسؤالٍ يُفصح عما جال في خاطرهم وجاش في صدورهم، فكانت الإجابةُ الشافيةُ الجامعةُ، النابعةُ من نفوسٍ صافيةٍ وقلوبٍ مُطمئنَّةٍ : ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، إنها رسالتُهم يؤدُّونها كما يجبُ، وحُجَّتهم يُعدُّونها قبل أن تُنصَبَ الموازينُ، ويقوم الناس لرب العالمين، مع إشفاقِهم ورجائِهم لإخوانهم المذنبين أن يتوبوا ويرجعوا إلى ربهم. لكن الأيام تمرُّ والزمان ينصرمُ، دون أن يترك بارقةَ أملٍ أو بادرةَ توبة، مما زاد القلوبَ قسوةً، وصارت النفوسُ أعظمَ جُرأة على حُرماتِ الله، لما طال عليهمُ الأمدُ، فلا موعظةً تنفع، ولا نائبةً من نوائبِ الدهرِ تردع، ولَا قوةً للحق تمنع، والمحتالُ لا يزال يلهو ويرتع، ويخصب ويمرع، حتى انقضى أجلُ الإمهال وحلَّت ساعةُ النَّكال، وحقَّت كلمةُ العذابِ، بعذابٍ حلَّ وأوجَع. ومن العجيب أنهم لم يستكينوا لربهم ولم يتضرعوا له ليرفعَ عنهم العذابَ، بل لجُّوا في عُتُوِّهم وتمادُوا في طُغيانهم، فاستحقُّوا الخِزْيَ والهَوَانَ، وباءُوا بالذُّلِّ والعارِ، حيث مَسَخَهُمُ اللهُ قِرَدَةً خاسئينَ؛ إذ انتكسَتْ نُفُوسُهُم وتردَّت أخلاقُهم، فكانوا عبرةً للمعتبرينَ، وموعظَةً للمُتَّقِين.

المبحث الثالث

بيانُ القِصَّة

قال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [الأعراف: 163 – 166].

﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾ لا يزالُ السياقُ في شأنِ اليهودِ، فبعد الحديثِ عن أمرِهم بدخولِ بَيْتِ المَقْدِسِ، وكيف تعنَّتوا وعاندوا، وبدَّلوا القول، جاء الحديثُ عن قريةٍ من القُرى التي سكنها اليهود، وعاثوا فيها فسادا، وهي قرية «أيلة» كما حكى كثيرٌ من المفسرين، تُشرِفُ على لسانِ البحر الأحمر من جهة خليج العقبة. وفي سؤالهم عن القرية تذكيرٌ لهم بصفحةٍ منسية في تاريخهم، وإقامةُ الحجَّة عليهم؛ بأنه لا سبيل لمحمد ﷺ كي يعرف ذلك إلا عن طريقِ الوحيِ الإلهيِّ، وإلا فأنَّى لهذا النبيِّ العربيِّ الأُمِّيِّ الذي لم يقرأ ولم يكتُب، ولم يتلقَّ عن الأحبارِ أو الرُّهبان؟ فلم يبقَ إلا طريقٌ واحدٌ هو طريق الله تعالى، الذي قال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: 47 – 49]. وتأتي القصةُ قارعةً لليهودِ زاجرةً لهم، لئلا يصيبَهم مثلُ ما أصاب أسلافَهم حين احتالوا على شرع الله وانتهكوا محارمَ الله فأُخِذُوا بالعذابِ البئيسِ. ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ

﴿حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾: سلهم سؤال تذكيرٍ وتأنيبٍ، عن تلك القصة المنسيَّة، وعن هذه الصفحةِ المطويَّة، سلهُم سؤالَ تقريرٍ وتحذيرٍ، من سوءِ العاقبةِ، كما حلَّ بمن سَلَف، فهل من معتبرٍ! وفي التعبير عن تلك القرية بأنها كانت حاضرة البحر ما يدلُّ على عظيمِ قدرها، كما قال أبو حيان في البحر: يحتمل أن يريد معنى الحاضرة على جهة التعظيم لها، أي هي الحاضرة في قرى البحر ... فالتقدير حاضرة قرى البحر أي يحضر أهل قرى البحر إليها لبيعهم وشرائهم وحاجتهم».[1] كما يفيدُ وصفُها بكونِها حاضرةَ البحرِ أنها قريبةٌ منه، لصيقةٌ به، قال ابنُ عاشور: «ووُصِفَت بأنها حاضرةُ البحر: بمعنى الاتصال بالبحر والقربِ منه، لأن الحضورَ يستلزمُ القربَ، وكانت (أَيْلَة) متصلةً بخليجٍ من البحر الأحمر وهو القلزم»[2]. وهذه القرية كانت عامرةً زاخرةً، يُمسِي أهلُها ويصبحون في نعم الله الوافرة، التي أفاضها عليهم من البرِّ والبحرِ، فالبحرُ مصدرٌ ثرٌّ للخيرات، ومواردٌ متجدِّدٌ للبركاتِ، والقريةُ بموقعِها المتميِّز حاضرةُ البحر، كما يقالُ عن الإسكندرية: عروس البحر، وكما يقول أهلُ مصر على مدنها النيلية: عروس النيل، أي زينتُه وحليتُه ودُرَّتُهُ. ومن ثمَّ جاء التعبير القرآني الدقيق عن القرية بأنها **{ كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ}**، فنعم الله في البحار لا تعدُّ ولا تحصى، وعلى ضِفَافِ البحارِ وجَنبَاتِ الأنهارِ كم شُيِّدت مدائنُ، وبُنِيَت حضاراتُ، حتى الكثير من الطرق البريَّة كانت تسلُكُ ساحلَ البحر، لسهولتِه ويُسرِه، واختصارِهِ، ووضُوحِ معالِمِه، وكثرةِ حواضِرِه، فتنتعش القرى الساحلية، وتظل عامرةً.

(1) أبو حيان، البحر المحيط 4(/ 332) باختصار.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير (8 / 327) .

﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ﴾ أي: يتجاوزون حدَّ الله فيه، وذلك باصطيادهم في هذا اليوم، وقد نُهُوا عنه، فنقضُوا العهدَ وتجاوزُوا الحدَّ بانتهاكِهِمْ لحُرمَةِ هذا اليومِ.

وكان اللهُ تعالى قد فرض عليهم يومَ الجُمُعة، فاختلفوا فيه وضلُّوا عنه واختارُوا السبت، وعلَّلوا ذلك بالكذبِ والافتراءِ على الله تعالى، حيث أشاعوا أن الله تعالى استراح في هذا اليوم، بعد أن خلق السموات والأرض في ستة أيام، فخَلَدَ في اليوم السابع للراحة، فابتلاهم الله تعالى بأن حرَّم عليهم العمل في هذا اليوم. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل: 124]. عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: (نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ فَهَدَانَا اللهُ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ، الْيَهُودُ غَدًا وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ)[1]. قال القرطبي: «وكان السبتُ تغليظًا على اليهود في رفضِ الأعمال وتركِ التبسيطِ في المعاشِ بسببِ اختلافِهم فيه»[2].

وعنه ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ (نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَهَذَا الْيَوْمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ فَهَدَانَا اللهُ، فَغَدًا لِلْيَهُودِ، وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى، فَسَكَتَ)[3]. ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾: بظلم من بني إسرائيل وبسبب تعنُّتهم وتنطُّعهم؛ حرَّم الله

(1) رواه البخاري في صحيحه عن أَبِي هُرَيْرَةَ، ﷺ كتاب الجمعة – باب فَرْضِ الْجُمُعَةِ حديث 876، ورواه مسلم في صحيحه كتاب الجمعة – باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (2 / 585) 19 – (855).

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (10 / 199).

(3) رواه البخاري في صحيحه عن أَبِي هُرَيْرَةَ، ﷺ كتاب الجمعة – باب فَرْضِ الْجُمُعَةِ حديث 896.

تعالى عليهم طيباتٍ كثيرةٍ كانت قد أُحِلَّت لهم، كما حرَّم الله تعالى عليهم العملَ يوم السبت ابتلاءً لهم، لما طُبِعُوا عليه من فُسُوقٍ وعصيانٍ، وجُحُودٍ ونِسْيَانٍ، ومن جملةِ البلاءِ أن تأتيهم الحيتان يوم سبتهم شُرَّعًا، تروح وتغدو شارعةً، ظاهرةً على الماء من كل ناحية، تلوح كأنها شراع السُّفن. «... فتقرب الحيتان وتكثر حتى يمكن أخذها باليد، فإذا كان ليلة الأحد غابت بجملتها، وقيل غاب أكثرها ولم يبق منها إلا القليل الذي يتعب صيده، ... ففتنهم ذلك وأضرّ بهم، فتطرقوا إلى المعصية بأن حفروا حفراً يخرج إليها ماء البحر على أخدود، فإذا جاء الحوت يوم السبت وحصل في الحفرة ألقوا في الأخدود حجراً فمنعوه الخروج إلى البحر، فإذا كان الأحد أخذوه فكان هذا أول التطرُّق.[1]

﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: فهذا من ابتلاء الله لهم بسبب ما كانوا عليه من فسق ظاهر. كما يفيد التعبير بالفعل المضارع على استمرارهم وإصرارهم على الفسوق الذي كان سبب بلائهم، فما نَجَوا من هذا البلاء بل وقعوا في المحظور باحتيالهم على شرع الله، وانتهاكِهم حرمةَ هذا اليوم الذي حرَّمه اللهُ، حتى سرتْ هذه الحيلُ وعمَّت، وانتشرت في القريةِ انتشارَ النَّارِ في الهشيمِ، وباشرَها عامَّةُ الناسِ إلا من عصمه الله تعالى من الصُّلحاء الأتقياء الذين انقسموا إلى طائفتين: **الأولى**: بادرت إلى الإنكار وأدَّت واجبَها في النُّصح والإرشاد.

والثانية: غَلَبَهَا اليأسُ وهزمها العجزُ، فنأتْ بنفسِها، واعتزلتْ من حولها، وباتت ترقُبُ عذابَ الله للعصاةِ الذين تجاوزوا الحدودَ. ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾. حيث اجتمع الصلحاءُ وتحاوروا وتشاوروا في شأن المفسدين، فتساءلت طائفةٌ منهما

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز، (3 / 113) بتصرف.

عن جدوى المواعظ وفائدتِها مع أولئك المُشرفين على الهلاك، المستوجبين للعذاب! المصرِّين على العصيان! سألوا سؤالَ المتعجِّب، علَّهم يجدون للواعظين حجةً، فيلتقي الفريقان وتجتمعُ الطائفتان على كلمةٍ سواء: تقولُ الطائفةُ الأولى: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ﴾ بسبب تمرُّدهم وعصيانهم ومكرهم واحتيالهم !

وقد أفصح هذا القولُ عن إنكارِهِم، وأبَان عن تبرُّؤهم من صنيع الراكبين متن الحيلِ إلى ما حرَّم الله، وعن يقينهم بعذابِ وهلاك أولئك الفسَّاق، وإن لم يكلفوا أنفسهم عناءَ الإنكار على المحتالين، أو لعلهم فعلوا ذلك مرارا ثم كفُّوا عنه، لعدم جدواه. لكن جوابَ الواعظينَ كان شافيا كافيا، جامعا وقاطعا لكل ما يتبادر في النفوس من حيرةٍ وتساؤل، حيث قالوا: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾. فهم يؤدُّون واجبَهم الشرعيَّ الذي سُيَسْأَلُون عنه: أَثْمَرَ أم لم يُثْمِرْ، لكنَّهم بأي حال على رجاءٍ وأملٍ في استجابتِهم وامتثالِهم، فليس الأمرُ مجردَ رِسالةٍ تؤدَّى وأمانةٍ يُلقِيها الداعيةُ عن كاهِلِهِ، أو كلمةٍ يقولُها ثم ينصرفُ مأجورا، بل هي رسالةُ حبٍّ ورحمةٍ، ورسالةُ أملٍ ورجاءٍ.

فكان هدفُهم من مواعِظِهم أداءَ واجبِهم، مع رجائهم في هدايةِ غيرِهم.[1]، أي : لِنُعْذَرَ فيهم، ونقيمَ الحجة عليهم، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي يتحاشون الذنوب

(1) قال ابن الجزري في النشر في القراءات العشر – (2 / 272) : (وَاخْتَلَفُوا) فِي مَعْذِرَةً، فَرَوَى حَفْصٌ بِالنَّصْبِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالرَّفْعِ. وقولهم: (معذرةٌ): قُرئتْ بالرفع: أي ما نفعله معذرةٌ، أو هذه معذرةٌ، أو موعظتهم معذرةٌ، وبالنصب: (معذرةً) أي فعلنا ذلك معذرةً ؛ أي لأجلِ المعذرةِ، أو نعظُهم معذرةً، قال في إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (1 / 410): «واختلف في (معذرة) فحفص بالنصب على المفعول من أجله أي وعظناهم لأجل المعذرة أو على المصدر أي =تعتذر معذرة أو على المفعول به لأن المعذرة تتضمن كلاما وحينئذ تنصب بالقول كقلت خطبة ... والعذر التنصل من الذنب».

والعصيان، ويخافون الملك الديان، فنحن لا نيأسُ من موعظتهم، ولا نملُّ من نصحهم أملا في رجوعهم.

«قال جمهور المفسرين: إن بني إسرائيل افترقت ثلاث فرق: فرقة عصت وصادت وكانت نحو سبعين ألفاً، وفرقة اعتزلت فلم تنه ولم تعص، وفرقة اعتزلت ونهت ولم تعص، فقالت الطائفةُ التي لم تنهَ ولم تعصِ للفرقة الناهيةِ: {لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا}؟ يريدون الفرقة العاصية {الله مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذّبُهُمْ } قالوا ذلك على غلبة الظنّ لما جرت به عادة الله من إهلاك العصاة أو تعذيبهم، من دون استئصال بالهلاك، فقالت الناهية: موعظتُنا معذرة إلى الله ولعلهم يتقون . ولو كانوا فرقتين فقط ناهية غير عاصية، وعاصية لقال: لعلكم تتقون[1].

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾: حتما هناك من أصمّ الآذان وقابل المواعظ بالاستخفاف والإعراض، كما كان لهذه المواعظ أثرُها الفعلي على القليل، وأثرها الوقتيِّ لدى آخرين، لكنها سرعان ما تلاشت لتعود نفوسُهم متعطشةً إلى التوثُّب على محارم الله، ناسيةً مواعظ الواعظين وغافلةً عن تذكرةِ المذكِّرين، حتى أُخذ العصاةُ بالعَذابِ البئيسِ، الأليمِ الشديدِ الوجيع، الذي لا رجعةَ فيه .

{فَلَمَّا عَتَوْاْ عَمَّا نُهُواْ عَنْهُ}أي: تجاوزُوا الحدَّ في معصية الله سبحانه تمرُّداً وتكبُّراً، وإعراضا عن المواعظ وإغفالا للزواجر {قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خاسئين} : بُعَداء من كلِّ خير أي: أمرناهم أمراً كونياً لا أمراً شرعياً، فمسخناهم قردة، قيل: إنه سبحانه عذَّبهم أوّلاً بسببِ المعصيةِ، فلما لم يُقْلِعُوا مَسَخَهُمْ قِرَدَةً.[2]. «وروي أن الناهين قسَّموا المدينةَ بينهم وبين العاصين بجدار، فلما أصبحوا ليلةَ

(1) الشوكاني، فتح القدير – (3 / 108).

(2) يراجع: الطبري، جامع البيان (13 / 203).

أَهلكَ اللهُ العاصون لم يفتح مدينة العاصين حتى ارتفع النهار فاستراب الناهون لذلك فطلع أحدُ الناس على السور فرآهم ممسوخين قردة تتوالب، فصاح، فدخلوا عليهم يعرف الرجل قرابته ويعرف القرد أيضاً كذلك قرابته، وينضمون إلى قرابتهم فيتحسَّرون».[1]

وروى الطبري في جامعه عَنْ مَالِكٍ، قَالَ: زَعَمَ ابْنُ رُومَانَ[2] أَنَّ قَوْلَهُ: {تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ} قَالَ: كَانَتْ تَأْتِيهِمْ يَوْمَ السَّبْتِ، فَإِذَا كَانَ الْمَسَاءُ ذَهَبَتْ فَلاَ يُرَى مِنْهَا شَيْءٌ إِلَى السَّبْتِ، فَاتَّخَذَ لِذَلِكَ رَجُلٌ مِنْهُمْ خَيْطًا وَوَتَدًا، فَرَبَطَ حُوتًا مِنْهَا فِي الْمَاءِ يَوْمَ السَّبْتِ، حَتَّى إِذَا أَمْسوْا لَيْلَةَ الأَحَدِ أَخَذَهُ فَاشْتَوَاهُ، فَوَجَدَ النَّاسُ رِيحَهُ، فَأَتَوْهُ فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ، فَجَحَدَهُمْ، فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى قَالَ لَهُمْ : إِنَّهُ جِلْدُ حُوتٍ وَجَدْنَاهُ، فَلَمَّا كَانَ السَّبْتُ الآخَرُ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَلاَ أَدْرِي لَعَلَّهُ قَالَ: رَبَطَ حُوتَيْنِ، فَلَمَّا أَمْسَى مِنْ لَيْلَةِ الأَحَدِ أَخَذَهُ فَاشْتَوَاهُ، فَوَجَدُوا رِيحَهُ، فَجَاءُوا فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ لَهُمْ : لَوْ شِئْتُمْ صَنَعْتُمْ كَمَا أَصْنَعُ، فَقَالُوا لَهُ: وَمَا صَنَعْتَ؟ فَأَخْبَرَهُمْ، فَفَعَلُوا مِثْلَ مَا فَعَلَ، حَتَّى كَثُرَ ذَلِكَ. وَكَانَتْ لَهُمْ مَدِينَةٌ لَهَا رَبَضٌ، فَغَلَّقُوهَا عَلَيْهِمْ، فَأَصَابَهُمْ مِنَ الْمَسْخِ مَا أَصَابَهُمْ، فَغَدَا إِلَيْهِمْ جِيرَانُهُمْ مِمَّنْ كَانَ يَكُونُ حَوْلَهُمْ، يَطْلُبُونَ مِنْهُمْ مَا يَطْلُبُ النَّاسُ، فَوَجَدُوا الْمَدِينَةَ مُغْلَقَةً عَلَيْهِمْ، فَنَادَوْا فَلَمْ يُجِيبُوهُمْ، فَتَسَوَّرُوا عَلَيْهِمْ، فَإِذَا هُمْ قِرَدَةٌ، فَجَعَلَ الْقِرْدُ يَدْنُو يَتَمَسَّحُ بِمَنْ كَانَ يَعْرِفُ قَبْلَ ذَلِكَ وَيَدْنُو مِنْهُ وَيَتَمَسَّحُ بِهِ. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ الْفِرْقَةُ الَّتِي قَالَتْ: {لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ} كَانَتْ مِنَ الْفِرْقَةِ الْهَالِكَةِ.[3]

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز (3 / 116) بتصرف .

(2) يزيد بن رومان الأسدى، أبو روح المدنى، مولى آل الزبير بن العوام، من صغار التابعين ت 130 هـ ثقة ثبت فقيه قارئ محدّث. ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء (1 / 444).

(3) الطبري، جامع البيان، (10 / 520). والربض ما حول المدينة من فضاء لا دور فيه.

وعَنْ عِكْرِمَةَ[1] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: ابْتَدَعُوا السَّبْتَ، فَابْتُلُوا فِيهِ، فَحُرِّمَتْ عَلَيْهِمْ فِيهِ الْحِيتَانُ، فَكَانُوا إِذَا كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ شَرَعَتْ لَهُمُ الْحِيتَانُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا فِي الْبَحْرِ، فَإِذَا انْقَضَى السَّبْتُ ذَهَبَتْ، فَلَمْ تُرَ حَتَّى السَّبْتِ الْمُقْبِلِ، فَإِذَا جَاءَ السَّبْتُ جَاءَتْ شُرَّعًا، فَمَكَثُوا مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَمْكُثُوا كَذَلِكَ، ثُمَّ إِنَّ رَجُلاً مِنْهُمْ أَخَذَ حُوتًا فَخَزَمَ أَنْفَهُ، ثُمَّ ضَرَبَ لَهُ وَتَدًا فِي السَّاحِلِ وَرَبَطَهُ وَتَرَكَهُ فِي الْمَاءِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ أَخَذَهُ فَشَوَاهُ فَأَكَلَهُ، فَفَعَلَ ذَلِكَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَلاَ يُنْكِرُونَ، وَلاَ يَنْهَاهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلاَّ عَصَبَةٌ مِنْهُمْ نَهَوْهُ، حَتَّى ظَهَرَ ذَلِكَ فِي الأَسْوَاقِ وَفُعِلَ عَلاَنِيَةً، قَالَ: فَقَالَتْ طَائِفَةٌ لِلَّذِينَ يَنْهَوْنَ: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ فِي سَخَطِنَا أَعْمَالَهُمْ ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ﴾. إِلَى قَوْلِهِ: ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانُوا أَثْلاَثًا: ثُلُثٌ نَهَوْا، وَثُلُثٌ قَالُوا: {لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ}، وَثُلُثٌ أَصْحَابُ الْخَطِيئَةِ. فَمَا نَجَا إِلاَّ الَّذِينَ نَهَوْا، وَهَلَكَ سَائِرُهُمْ، فَأَصْبَحَ الَّذِينَ نَهَوْا عَنِ السُّوءِ ذَاتَ يَوْمٍ فِي مَجَالِسِهِمْ يَتَفَقَّدُونَ النَّاسَ لاَ يَرَوْنَهُمْ، فَغَلَقُوا عَلَيْهِمْ دُورَهُمْ، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: إِنَّ لِلنَّاسِ لَشَأْنًا، فَانْظُرُوا مَا شَأْنُهُمْ، فَاطَّلَعُوا فِي دُورِهِمْ، فَإِذَا الْقَوْمُ قَدْ مُسِخُوا فِي دِيَارِهِمْ قِرَدَةً، يَعْرِفُونَ الرَّجُلَ بِعَيْنِهِ وَإِنَّهُ لَقِرْدٌ، وَيَعْرِفُونَ الْمَرْأَةَ بِعَيْنِهَا وَإِنَّهَا لَقِرْدَةٌ، قَالَ اللهُ: ﴿فَجَعَلْنَـٰهَا نَكَـٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[2].

وعَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ وَالْمُصْحَفُ فِي حِجْرِهِ وَهُوَ يَبْكِي، فَقُلْتُ: مَا يُبْكِيكَ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ ؟ قَالَ: فَقَرَأَ: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لاَ

(1) عكرمة القرشي الهاشمي، أبو عبد الله المدني، مولى عبد الله بن عباس، ثقة ثبت عالم بالتفسير ت 104 هـ و قيل بعد ذلك بـ المدينة، روى له الشيخان وأصحاب السنن الأربعة. انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء (9 / 11).

(2) الطبري، جامع البيان، (10 / 514).

أَسْمَعُ الْفِرْقَةَ الثَّالِثَةَ ذُكِرَتْ نَخَافُ أَنْ نَكُونَ مِثْلَهُمْ . فَقُلْتُ: أَمَا تَسْمَعُ اللهَّ يَقُولُ: {فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ} فَسُرِّيَ عَنْهُ وَكَسَانِي حُلَّةً[1]. أي فكانت عقوبة المسخ لمن اقترف، دون من لم يقترف، أنكر أم لم ينكر.

وقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: «كَانُوا قَدْ بُلُوا بِكَفِّ الْحِيتَانِ عَنْهُمْ، وَكَانُوا يَسْبِتُونَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ، وَلاَ يَعْمَلُونَ فِيهِ شَيْئًا، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ أَتَتْهُمُ الْحِيتَانُ شُرَّعًا، وَإِذَا كَانَ غَيْرُ يَوْمِ السَّبْتِ لَمْ يَأْتِ حُوتٌ وَاحِدٌ، قَالَ: وَكَانُوا قَوْمًا قَدْ قُرِنُوا بِحُبِّ الْحِيتَانِ، وَلَقُوا مِنْهُ بَلاَءً، فَأَخَذَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حُوتًا، فَرَبَطَ فِي ذَنْبِهِ خَيْطًا، ثُمَّ رَبَطَهُ إِلَى خَشَبَةٍ، ثُمَّ تَرَكَهُ فِي الْمَاءِ، حَتَّى إِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ مِنْ يَوْمِ الأَحَدِ اجْتَرَّهُ بِالْخَيْطِ، ثُمَّ شَوَاهُ.

فَوَجَدَ جَارٌ لَهُ رِيحَ حُوتٍ، فَقَالَ: يَا فُلاَنُ إِنِّي أَجِدُ فِي بَيْتِكَ رِيحَ نُونٍ، فَقَالَ: لاَ. قَالَ: فَتَطَلَّعَ فِي تَنُّورِهِ فَإِذَا هُوَ فِيهِ فَأَخْبَرَهُ حِينَئِذٍ الْخَبَرَ، فَقَالَ: إِنِّي أَرَى اللهَّ سَيُعَذِّبُكَ. قَالَ: فَلَمَّا لَمْ يَرَهُ عُجِّلَ عَذَابًا، فَلَمَّا أَتَى السَّبْتُ الآخَرُ أَخَذَ اثْنَيْنِ فَرَبَطَهُمَا، ثُمَّ اطَّلَعَ جَارٌ لَهُ عَلَيْهِ. فَلَمَّا رَآهُ لَمْ يُعَجَّلْ عَذَابًا جَعَلُوا يَصِيدُونَهُ، فَاطَّلَعَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ عَلَيْهِمْ، فَنَهَاهُمُ الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَكَانُوا فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةً تَنْهَاهُمْ وَتَكُفُّ، وَفِرْقَةً تَنْهَاهُمْ وَلاَ تَكُفُّ، فَقَالَ الَّذِينَ نَهَوْا وَكَفُّوا لِلَّذِينَ يَنْهَوْنَ وَلاَ يَكُفُّونَ: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ فَقَالَ الآخَرُونَ: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ فَقَالَ اللهَّ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾. إِلَى قَوْلِهِ: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ قَالَ اللهَّ: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ وَقَالَ لَهُمْ أَهْلُ تِلْكَ الْقَرْيَةِ: عَمِلْتُمْ بِعَمَلِ سُوءٍ، مَنْ كَانَ يُرِيدُ يَعْتَزِلُ وَيَتَطَهَّرُ فَلْيَعْتَزِلْ هَؤُلاَءِ، قَالَ: فَاعْتَزَلَ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ فِي مَدِينَتِهِمْ، وَضَرَبُوا بَيْنَهُمْ سُورًا، فَجَعَلُوا فِي ذَلِكَ السُّورِ أَبْوَابًا يَخْرُجُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ. قَالَ: فَلَمَّا كَانَ

(1) نفس المرجع (10 / 517).

اللَّيْلُ طَرَقَهُمُ اللهُ بِعَذَابِهِ، فَأَصْبَحَ أُولَئِكَ الْمُؤْمِنُونَ لاَ يَرَوْنَ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَدَخَلُوا عَلَيْهِمْ، فَإِذَا هُمْ قِرَدَةٌ، الرَّجُلُ وَأَزْوَاجُهُ وَأَوْلاَدُهُ. فَجَعَلُوا يَدْخُلُونَ عَلَى الرَّجُلِ يَعْرِفُونَهُ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلاَنُ أَلَمْ نُحَذِّرْكَ سَطَوَاتِ اللهِ؟ أَلَمْ نُحَذِّرْكَ نَقَمَاتِ اللهِ؟ وَنُحَذِّرْكَ وَنُحَذِّرْكَ؟ قَالَ: فَلَيْسَ إِلاَّ بُكَاءً. قَالَ: وَإِنَّمَا عَذَّبَ اللهُ الَّذِينَ ظَلَمُوا الَّذِينَ أَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ. قَالَ: وَأَمَّا الَّذِينَ نَهَوْا فَكُلُّهُمْ قَدْ نَهَى، وَلَكِنَّ بَعْضَهُمْ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ. فَقَرَأَ: ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾[1].

(1) الطبري، جامع البيان، (10 / 517). والوالبة : الفَرخ من الزرع يَخْرُج في أصل الكبير. ويقال: ولَبَ الزَّرعُ، إذا خرجَتْ له فراخ. ابن دريد، الاشتقاق (1 / 492) . وفي الصحاح (2 / 293): الوالب: الذاهبُ في الشيء الداخلُ فيه... وولَبَ بَنُو فُلانٍ: كَثُرَ عَدَدُهُم، ونَمَوْا. وخَزَم (البَعِيرَ) يَخْزِمه خَزْماً: (جَعَلَ في جانِبِ مَنْخِره الخِزَامة كَكِتابة، لِلْبُرَةِ)، وهي حَلَقه من شَعَر تُجعَل في وَتَرة أَنْفِه يُشَدّ بها الزِّمام. الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس (32 / 78). ونزلوا في ربض المدينة والقصر وهو ما حولها من مساكن الجند وغيرهم. تاج العروس (18/ 330). وابن زيد هو: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، لم يدرك إلا بعض التابعين وَكَانَ صَاحِبَ قُرْآنٍ وَتَفْسِيْرٍ، جَمَعَ تَفْسِيْراً فِي مُجَلَّدٍ، وَكِتَاباً فِي النَّاسِخِ وَالمَنْسُوْخِ. تُوُفِّيَ: سَنَةَ 182ه. الذهبي، سير أعلام النبلاء (15/ 362).

المبحث الرابع

دروس وعبر مستفادة من القصة

أولا : تحذير اليهود والحذر منهم ومن الوقوع فيما وقعوا فيه

تكشف لنا هذه القصة عن صفحات مطوية من تاريخ اليهود، والحكمة من نشر هذه الصفحات: تحذير اليهود الذين يسلكون هذه المسالك الملتوية، ويركبون متن هذه الحيلِ المحرَّمةِ من مغبَّة الذنوب والعصيان وعاقبة الخداع والاحتيال. وفي القصة تحذيرٌ لنا من سوء طبائع اليهود وخبث طويتهم، وخداعهم حتى نكون في معاملتهم على حذر، وأن نحذر الوقوع فيما وقعوا فيه حتى لا يصيبنا ما أصابهم . وتلك القرية نموذجٌ للمجتمع اليهودي، الذي يسودُ فيه الكذب والخداع وتعلو أصواتُ العصاةِ والمحتالين، بينما يخفتُ نداءُ العدل، ويُصادَرُ صوتُ الحق، ويقلُّ الناصحون، بل تتبدّد دعواتُهم في وسط الزحام، وتضيع جهودُهم في قلب الرُّكام، كما هو الحالُ الآن في «الكيان الصهيوني» الذي غرسته أيد الاستعمار الآثمة في قلبِ الأرض المقدسة، ومع ما جُبِلت عليهِ قلوب المُغتصِبين من قسوةٍ وغدرٍ وعداوةٍ وبغضاء، إلا أنَّ تلك المجتمعات لا تخلو من وجودِ قليلٍ من المنصفين هذه القلةُ القليلةُ قد بحَّتْ أصواتها في وجهِ المعتدين لكنَّ أصواتهم لا تكادُ تُسمعُ في قلبِ هذا الصَّخبِ والضجيجِ. والقصة تدلُّ على إنصاف القرآن الكريم: فكما ذَكَرَ هذا المثالَ السيئ للمحتالين على شرع الله، ذَكَرَ النَّموذجَ الصالحَ للمُصلحين الواعظين من بني إسرائيل من الناصحين الصادقين والذين لا يكاد يخلو منهم زمان، لكن صوتهم يضيع في وسط هذا الصخب وذاك الزحام، كما هو الحال الآن حتى في قلب الكيان الصهيوني نسمع بعض الأصوات الصادقة لكنها لا تأثير لها في خضمِّ الأغلبية الساحقة من اليهود الغاصبين المعتدين. ولا يزال اليهود يمارسون التحايل على حرمة السبت في شريعته بالحيل المصطنعة التي تنمُّ عمَّا طُبِعوا عليه من المراوغة والتفلُّت

والأخذ ببعض الأحكام وترك الباقي، وبعض هذه الحيل قد يُثير الضحك وربَّما الاشمئزاز مما صار إليه حالُهم.[1]

ثانيا: القصةُ دليلٌ قاطعٌ على صدق نبينا ﷺ؛ لأنه لا سبيل لمعرفة هذه الأحداث إلا بالوحي الإلهي، فهي حجةٌ ظاهرةٌ على نبوته ﷺ؛ ذلك أن هذه القصة نشرت صفحات مطوية في تاريخ اليهود، لطالما تواطئوا على كتمانها، بينما كان النبيُّ العربيُّ أُمِّيًّا لا يقرأ ولا يكتب، ولم يختلف إلى أحد من أهل الكتاب، ولم يخالطْهم، حتى يُطلعوه على خباياهم، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:47-49]. قال الرازي: «ولما كان النبي ﷺ رجلاً أمياً لم يتعلم علماً، ولم يطالع كتاباً، ثم إنه يذكر هذه القصص على وجهها من غير تفاوت ولا زيادة ولا نقصان، كان ذلك جارياً مجرى المعجز.[2]

ثالثا: سنة الابتلاء: الابتلاء كما يقع بالخير يقع بالشر، فيكون بالفتن والمحن، كما يكون بالنعم والمنح. «ابتلى الله أهل تلك القرية بنوع من البلاء قد غفل عنه

(1) ونظراً لأنه محرَّم على اليهود القيام بأي نشاط في يوم السبت (مثلاً إيقاد النار بما في ذلك النار التي تُوقَد للطهو)، فقد نتج عن ذلك أسلوب في إعداد الطعام يتمثَّل في الطهي على نار هادئة ابتداءً من مساء يوم الجمعة وحتى يوم السبت. كما تم التوصل كذلك إلى أدوات كهربائية ذات مفاتيح زمنية يتم ضبطها قبل يوم السبت، بحيث تنير من تلقاء نفسها يوم السبت. كما أفتى أحد الحاخامات أنه لا مانع من أن تقوم القرود أو الكلاب المدربة على إطفاء الأنوار (يوم السبت) والقيام بأعمال منزلية أخرى، إذا لم تكن هذه الحيوانات من ممتلكات العائلة (ففي هذه الحالة تُعتبَر جزءاً من الأسرة) وعليها أن ترتاح مع باقي أعضاء الأسرة. كما صرَّح بلعب كرة القدم يوم السبت على أن تُباع التذاكر يوم الجمعة لحرمة البيع يوم السبت. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، (7 / 104).

(2) الرازي، التفسير الكبير (15 / 391).

الكثير من الناس اليوم؛ حيث إن الناس يحسبون الابتلاء نوعين: إما بالخير ورغد العيش، وإما بالشر والمصائب، ويستشهدون بقول الله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:35]، ويجهلون معناها، والحق أن هناك نوعا ثالثا هو أشد الأنواع وأخطرها، وقد رتب الله على من أخفق وخسر فيه عقوبة شديدة، ألا إنه الابتلاء بالمعاصي والفتن، فأولئك القوم قد نهاهم الله عن صيد السمك يوم السبت، فصار السمك في حقهم في ذلك اليوم معصية وإثما، ثم قرّبه الله إليهم ويسّره لهم ليبتليهم ويختبرهم».[1] قال الرازي: «وقوله: {كَذَلِكَ نَبْلُوهُم} أي مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم، وذلك يدلُّ على أن من أطاع الله تعالى خفّف الله عنه أحوال الدنيا والآخرة، ومن عصاه ابتلاه بأنواع البلاء والمحن».[2]

رابعا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مقاصدُهُ العليا، فهو واجبٌ شرعيٌّ وأمرٌ ضروريٌّ، وهو الطريقُ إلى الإصلاح المنشود، والسبيلُ إلى الفلاح المأمول، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قيامٌ بواجبٍ حتميٍّ، وأداءِ رسالةٍ ساميةٍ، وليس كما يدَّعيه البعضُ أنه حجرٌ على العقول وتقييدٌ للحريات وحبسٌ للأنفاس وتضييقٌ على الناس، أو تدخُّلٌ في شئونهم، وتعرُّضٌ لخصوصياتهم، أو اعتداء على حرياتهم وسلب لإرادتهم، بل هو قيمةٌ إنسانيةٌ عظيمةٌ، وشرعةٌ ربانيةٌ حكيمةٌ، ورسالةٌ إيجابيةٌ كريمةٌ، ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هود: 116]. عن

(1) د. محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن (1 / 575).

(2) الرازي، التفسير الكبير (1 / 2076).

ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ يَا هَذَا اتَّقِ اللهَّ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ! ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنْ الْغَدِ فلا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللهُّ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ثُمَّ قَرَأَ ﷺ ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾. [سورة المائدة]، ثُمَّ قَالَ: (كَلَّا وَاللهَّ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنْ الْمُنْكَرِ وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيْ الظَّالِمِ وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا)[1].

وعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ الله وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا)[2].

قال ابن العربي: «لَمَّا فَعَلُوا هَذَا نَهَاهُمْ كُبَرَاؤُهُمْ، وَوَعَظَهُمْ أَحْبَارُهُمْ فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُمْ، فَاسْتَمَرُّوا عَلَى نَهْيِهِمْ لَهُمْ، وَلَمْ يَمْنَعْ مِنْ التَّمَادِي عَلَى الْوَعْظِ وَالنَّهْيِ عَدَمُ قَبُولِهِمْ؛ لِأَنَّهُ فَرْضٌ قُبِلَ أَوْ لَمْ يُقْبَلْ، حَتَّى قَالَ لَهُمْ بَعْضُهُمْ: { لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا

(1) رواه أبو دَاوُد في السنن كتاب الملاحم. باب الأمر والنهي. الحديث رقم: 4336ـ وابن ماجة في السنن – كتاب الفتن. باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. الحديث رقم: 4006– والترمذي في السنن وقال حسن غريب – سنن الترمذي كتاب التفسير باب6 ومن سورة المائدة حديث 3058 وأحمد في مسنده 1/ 391.

(2) صحيح البخاري كتاب الشركة باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه (2 / 882) حديث 2361. (استهموا) اقترعوا ليأخذ كل منهم سهما أي نصيبا. (أخذوا على أيديهم) منعوهم من خرق السفينة.

اللهُ مُهْلِكُهُمْ } ؟ يَعْنِي فِي الدُّنْيَا، { أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا } فِي الْآخِرَةِ ؟ قَالَ لَهُمْ النَّاهُونَ: مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ، أَيْ نَقُومُ بِفَرْضِنَا ; لِيَثْبُتَ عُذْرُنَا عِنْدَ رَبِّنَا[1].

خامسا: ذمُّ الحيل غير المشروعة: الذي يحتالُ على شرعِ الله : ضعاف الإيمان، المستغرقون في المعاصي والشهوات، أصحاب المطامع والأَهواء، أما صاحب القلب السليم، المعظِّمُ لله، الراجي رحمتَه فإنه بمنأى عن هذه الحيل، يأنف مقاربتها. «إن الشريعة والأوامر والتكاليف لا يعرفها إلا القلب المؤمن التقي، وإن القلوب الأخرى تكثر من التحايل على الأوامر والتكاليف، مثلما فعل اليهود، وهذا هو سرُّ نجاح الإسلام في تشريعه ونصوصه، حيث أحيا قلوب المؤمنين، وربطها بالله، فالتزمت القلوب بالنصوص والتشريعات، وهذا هو سرُّ فشل الأديان المحرفة والوضعية والأنظمة والمناهج والقوانين الأرضية، لأنها تغفل التعامل مع القلوب وتصطدم بالواقع ولا تضع حلولا ناجعةً لمشاكل الإنسان وأزماته ولا تلبي حاجياته، مما يؤدي إلى تفلُّت الإنسان ومراوغته بالحيلِ».[2]

وتحذّرنا هذه القصَّةُ من مغبَّةِ الحِيَلِ المحرَّمةِ، وما تُفْضِي إليه مِنْ وبالٍ وخسرانٍ.

يقول صاحب الظلال: «وما أكثر الحيل عندما يلتوي القلب، وتقلُّ التقوى، ويصبح التعامل مع مجرد النصوص، ويراد التفلُّت من ظاهر النصوص! إن القانون لا تحرسه نصوصه، ولا يحميه حراسه. إنما تحرسه القلوب التقية التي تستقر تقوى الله فيها، فتحرس هي القانون وتحميه. وما من قانون تمكن حمايته أن يحتال الناس عليه! ما من قانون تحرسه القوة المادية والحراسة الظاهرية! ولن

(1) ابن العربي، أحكام القرآن (3 / 491).

(2) صلاح الخالدي، مع قصص السابقين في القرآن، 1/ 272 بتصرف.

تستطيع الدولة – كائناً ما كان الإرهاب فيها – أن تضع على رأس كل فرد حارساً يلاحقه لتنفيذ القانون وصيانته؛ ما لم تكن خشية الله في قلوب الناس، ومراقبتهم له في السر والعلن .. من أجل ذلك تفشل الأنظمة والأوضاع التي لا تقوم على حراسة القلوب التقية. وتفشل النظريات والمذاهب التي يضعها البشر للبشر ولا سلطان فيها من الله .. ومن أجل ذلك تعجز الأجهزة البشرية التي تقيمها الدول لحراسة القوانين وتنفيذها. وتعجز الملاحقة والمراقبة التي تتابع الأمور من سطوحها!»[1].

وقال ابن العربي: «هَذِهِ الْآيَةُ مِنْ أُمَّهَاتِ الشَّرِيعَةِ، وَفِيهَا مَسَائِلُ ... منها: إنَّ اللهَّ أَمَرَ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَسْأَلَ الْيَهُودَ إخْوَةَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ عَنْ الْقَرْيَةِ الْبَحْرِيَّةِ الَّتِي اعْتَدَوْا فِيهَا يَوْمَ السَّبْتِ، فَمَسَخَهُمْ اللهُّ بِاعْتِدَائِهِمْ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ، لِيُعَرِّفَهُمْ مَا نَزَلَ بِهِمْ مِنْ الْعُقُوبَةِ بِتَغْيِيرِ فَرْعٍ مِنْ فُرُوعِ الشَّرِيعَةِ، فَكَيْفَ بِتَغْيِيرِ أَصْلِ الشَّرِيعَةِ[2]. وضابط ما يجوز وما لا يجوز من الحيل: أن كل طريق مشروع يترتب على سلوكه تحقيق مقاصد الشرع من فعل ما أمر الله به واجتناب ما نهى الله عنه وإحياء الحقوق ونصر المظلوم والانتصاف من الظالم: فهو حلال مباح أو مستحب أو واجب يثاب فاعله والدال عليه، وأن كل طريق يترتب عليه العبث بمقاصد الشرع من إسقاط الواجبات وتحليل المحرمات وقلب الحق باطلا والباطل حقا فهو محظور ويذم فاعله والدال عليه[3].

يقول الشاطبي في الموافقات «لا يمكن إقامة دليل في الشريعة على إبطال كل حيلة كما أنه لا يقوم دليل على تصحيح كل حيلة وإنما يبطل منها ما كان مضادا

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن – (3 / 308).
(2) لابن العربي أحكام القرآن – (3 / 489).
(3) يراجع بحيرى، محمد عبد الوهاب، الحيل في الشريعة الإسلامية والمؤلف كان أستاذا التفسير والحديث بكلية أصول الدين – سابقا ص 23.

لقصد الشرع خاصة، وهو الذي يتفق عليه جميع أهل الإسلام، ويقع الاختلاف في المسائل التي تتعارض فيها الأدلة»[1] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ بَلَغَ عُمَرَ ﷺ أَنَّ فُلاَنًا بَاعَ خَمْرًا فَقَالَ قَاتَلَ اللهُ فُلاَنًا أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَجَمَلُوهَا فَبَاعُوهَا)[2]. وعن أَبي هريرة ﷺ؛ أن رسول الله ﷺ قال: (لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود، فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل).[3]

ويعلق الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى – على قصة أصحاب السبت فيقول: «إن الله تعالى أخبر عن أهل السبت من اليهود بمسخهم قردة لَمَّا احتالوا على إباحة ما حرَّمه الله تعالى من الصيد بأن نصبوا الشباك يوم الجمعة، فلما وقع فيها الصيد أخذوه يوم الأحد؛ قال بعض الأئمة: ففي هذا زجر عظيم لمن يتعاطى الحيل على المناهي الشرعية ممن يتلبس بعلم الفقه وهو غير فقيه؛ إذ الفقيه هو من يخشى الله تعالى بحفظ حدوده، وتعظيم حرماته، والوقوف عندها، ليس المتحيّل على إباحة محارمه، وإسقاط فرائضه، ومعلوم أنهم لم يستحلوا ذلك تكذيبًا لموسى عليه السلام، وكفرًا بالتوراة، وإنما هو استحلال تأويل واحتيال، ظاهره ظاهر الاتقاء وباطنه باطن الاعتداء، ولهذا والله أعلم مُسخوا قردة لأن صورة القرد فيها شبه من صورة الإنسان، وفي بعض ما يذكر من أوصافه شبه منه، وهو مخالف له في الحد والحقيقة، فلما مسخ أولئك المعتدون دين الله تعالى

(1) الشاطبي، الموافقات 2/ 237.

(2) صحيح البخاري باب بيع التصاوير التي ليس فيها روح وما يكره من ذلك. وأخرجه مسلم في المساقاة باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام رقم 1582. صحيح مسلم – (5 / 26) المساقاة باب تَحْرِيمِ بَيْعِ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالأَصْنَامِ. ومعنى فجمَّلُوها، أذَابُوها.

(3) رواه ابن بطة في «جزء في الخلع وإبطال الحيل» حديث (42) وإسناده جيد.

بحيث لم يتمسكوا إلا بما يشبه الدين في بعض ظاهره دون حقيقته مسخهم الله تعالى قردة؛ يشبهونهم في بعض ظواهرهم دون الحقيقة جزاء وفاقًا».[1]

سادسا: أثر الذنوب في هلاك الأمم والشعوب: من خلال هذه القصة يتبين لنا ما للذنوب من آثار وخيمة وعواقب أليمة على النفس والمجتمع، فشؤم المعصية إنما يلحق بالأمم والمجتمعات كما يحيق بالأفرادِ والجماعات، وبالمعاصي زوال النعم وحلول النِّقم، قال تعالى: ﴿ **فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾[العنكبوت : 40] كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ: «مَا نَزَلْ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا رُفِعَ إِلَّا بِتَوْبَةٍ».

وَقَدْ قَالَ المولى جل وعلا: ﴿ **وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ** ﴾ [سُورَةُ الشُّورَى: 30]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ **ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ [سُورَةُ الْأَنْفَالِ: 53].

فَإِذَا غَيَّرَ العبدُ غَيَّرَ الله عَلَيْهِ، وإذا بدَّل نعمةَ الله كفرا وعصيانا بدَّل اللهُ نعمتَه نقمةً وعافيتَه بلاءً ووبالا.

قال الحسن البصري عن أصحاب السبت: «أكلوا والله أوخَمَ أكلةٍ أكلها أهلُها، أثقلُها خزياً في الدنيا وأطولُها عذاباً في الآخرة»[2].

عن جُبير بن نُفير قال: «لما فتحت مدائن قبرص وقع الناس يقتسمون السبي، ويفرقون بينهم، ويبكي بعضهم على بعض، فتنحى أبو الدرداء ثم احتبى بحمائل سيفه فجعل يبكي، فأتاه جبير بن نفير، فقال: ما يبكيك يا أبا الدرداء؟ أتبكي في يوم أعزَّ اللهُ فيه الإسلام وأهله؟ وأذلَّ فيه الكفر وأهله؟ فضرب على

(1) ابن القيم، إعلام الموقعين، (3 / 209).

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (3 / 59).

مَنْكِبَيه، ثم قال: ثكِلَتك أمُّك يا جبير بن نفير، ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره! بينا هي أمةٌ قاهرةٌ ظاهرةٌ على الناس، لهم الملك حتى تركوا أمر الله، فصاروا إلى ما ترى»[1].

وقد عقد ابن القيِّمُ رحمه الله في كتابه **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي** فصولا عن آثار الذنوب الوخيمة، وعواقبها الأليمة، ذكر منها فصلا بعنوان: الْمَعَاصِي تُزِيلُ النِّعَمَ: قال فيه: «وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا أَنَّهَا تُزِيلُ النِّعَمَ الْحَاضِرَةَ، وَتَقْطَعُ النِّعَمَ الْوَاصِلَةَ، فَتُزِيلُ الْحَاصِلَ، وَتَمْنَعُ الْوَاصِلَ، فَإِنَّ نِعَمَ اللهِ مَا حُفِظَ مَوْجُودُهَا بِمِثْلِ طَاعَتِهِ، وَلَا اسْتُجْلِبَ مَفْقُودُهَا بِمِثْلِ طَاعَتِهِ، فَإِنَّ مَا عِنْدَهُ لَا يُنَالُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا وَآفَةً، سَبَبًا يَجْلِبُهُ، وَآفَةً تُبْطِلُهُ، فَجَعَلَ أَسْبَابَ نِعَمِهِ الْجَالِبَةَ لَهَا طَاعَتَهُ، وَآفَاتِهَا الْمَانِعَةَ مِنْهَا مَعْصِيَتَهُ، فَإِذَا أَرَادَ حِفْظَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ أَلْهَمَهُ رِعَايَتَهَا بِطَاعَتِهِ فِيهَا، وَإِذَا أَرَادَ زَوَالَهَا عَنْهُ خَذَلَهُ حَتَّى عَصَاهُ بِهَا»[2]. وَقَدْ أَحْسَنَ من قَال:

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا فَإِنَّ المعاصيَ تُزِيلُ النِّعَمْ .

وَسَافِرْ بِقَلْبِكَ بَيْنَ الْوَرَى لِتُبْصِرَ آثَارَ مَنْ قَدْ ظَلَمْ .

سابعا: عاقبة الأمن من مكر الله: إذا أوغلَ العبدُ في الذنوبِ والعصيانِ، وأطلق لنفسه العَنان، وغلبت عليه الشقوةُ والنسيان، فإن مصيره لا محالةَ إلى الخيبة والخسران؛ إذ كيف يأمنُ مكرَ الإله من جاهر بالفسق والعصيان! كيف يأمنُ مكرَ الله من تمادى في الظلم والطغيان! كيف يأمنُ مكرَ الله من غرق في بحار الذنوبِ وتقاذفتْهُ أمواجُ النسيان! وألقته صريعًا على ساحلِ الحرمان! قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم

(1) سعيد بن منصور، السنن، (1/ 389).

(2) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ص 73.

﴿ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف : 97 - 100]. وَفِي الْحَدِيثِ يقول ﷺ: إِذَا رَأَيْتُمْ اللهَّ يُعْطِي الْعَبْدَ مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ؛ فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ . ثُمَّ تَلَا قَوْله تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام : 44][1].

وقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: رُبَّ مُسْتَدْرَجٍ بِنِعَمِ اللهَّ عَلَيْهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، وَرُبَّ مَغْرُورٍ بِسَتْرِ اللهَّ عَلَيْهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، وَرُبَّ مَفْتُونٍ بِثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ[2].

ثامنا: ذمُّ النسيان: النسيان آفةُ الآفات، فكم يجلبُ من عذابٍ وحسراتٍ، وكم يُفضِي إلى آلامٍ وزفراتٍ: نسيان العبد لنفسه بأن يغفل وينسى مصالحه العاجلة والآجلة لانهماكه في تعاطي الذنوب، وعكوفه على اقتراف المعاصي، ومن نسي نفسه ضيَّع حقَّه ونسي وضيَّع حقوق غيره عليه، ونسي بالأحرى حقوق الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [سُورَةُ الْحَشْرِ: 18- 19]. «فَتَرَى الْعَاصِيَ مُهْمِلًا لِمَصَالِحِ نَفْسِهِ مُضَيِّعًا لَهَا، قَدْ أَغْفَلَ اللهَّ قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِهِ، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا، قَدِ انْفَرَطَتْ عَلَيْهِ مَصَالِحُ دُنْيَاهُ

(1) رواه الإمام أحمد في المسند عَنْ عُقْبَةَ بن عَامِرٍ (4 / 145) وقال محققه شعيب الأرنؤوط: «حديث حسن وهذا إسناد ضعيف لضعف رشدين بن سعد وباقي رجال الإسناد ثقات».
ورواه الطبراني في المعجم الكبير (12/ 300) حديث 14327، وفي المعجم الأوسط (9 / 110) حديث 9272 والبيهقي في شعب الإيمان - (6 / 298)، حديث 4220، والروياني في مسنده (1 / 89) 265.

(2) الهيتمي، ابن حجر، الزواجر عن اقتراف الكبائر (1/ 222)، ابن القيم، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (1/ 89)، ونحو ذلك ما ذكره الذهبي في الكبائر (1/ 227) الكبيرة الثالثة والستون: الأمن من مكر الله.

وَآخِرَتِهِ، وَقَدْ فَرَّطَ فِي سَعَادَتِهِ الْأَبَدِيَّةِ، وَاسْتَبْدَلَ بِهَا أَدْنَى مَا يَكُونُ مِنْ لَذَّةٍ، إِنَّمَا هِيَ سَحَابَةُ صَيْفٍ، أَوْ خَيَالُ طَيْفٍ.

وَأَعْظَمُ الْعُقُوبَاتِ نِسْيَانُ الْعَبْدِ لِنَفْسِهِ، وَإِهْمَالُهُ لَهَا، وَإِضَاعَتُهُ حَظَّهَا وَنَصِيبَهَا مِنَ اللهَّ، وَبَيْعُهَا ذَلِكَ بِالْغَبْنِ وَالْهَوَانِ وَأَبْخَسِ الثَّمَنِ، فَضَيَّعَ مَنْ لَا غِنَى لَهُ عَنْهُ، وَلَا عِوَضَ لَهُ مِنْهُ، وَاسْتَبْدَلَ بِهِ مَنْ عَنْهُ كُلُّ الْغِنَى أَوْ مِنْهُ كُلُّ الْعِوَضِ. قال جل وعلا ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الحشر: 19]. وقَالَ اللهُ تَعَالَى: ((نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُم)) [التوبة: 67]، فعاقَبَ سُبْحَانَهُ مَنْ نسيهُ عقوبتين: إحداهُما: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ نسِيه. والثانية: أَنَّهُ أنساه نفسَه.

ونسيانُهُ سُبْحَانَهُ للعبدِ إهمالُهُ وتركُهُ وتخلِّيهِ عَنْهُ وإضاعتُهُ، وأمَّا إنساؤهُ نفسَهُ: فَهُوَ إنساؤهُ لحظوظِها العاليةِ، وأسبابِ سعادتِها وفلاحِهَا وصلاحِهَا وَمَا تكمُلُ بِهِ نفسُهُ، يُنسيهِ ذَلِكَ جميعَهُ، فَلاَ يُخطِرْهُ ببالِهِ، وَلاَ يجعلهُ عَلَى ذكرِهِ، وَلاَ يصرفُ إِلَيْهِ همَّتَهُ فيرغَبَ فِيهِ، فإنه لاَ يمرُّ بباله حتّى يقصدَهُ ويؤثِرَهُ. وأيضاً فَيُنسيه عيوبَ نفسِهِ وآفَاتِها؛ فَلاَ يخطرُ ببالِهِ إزالتُها وإصلاحُهَا. وأيضاً يُنسيه أمراضَ نفسهِ وقلبِهِ وآلامَها؛ فَلاَ يخطرُ بقلبِهِ مُداواتُها، وَلاَ السَّعيُ فِي إزالةِ عِلَلِها وأمراضِها الَّتِي تَؤولُ بِهِ إِلَى الفسادِ والهلاكِ، فَهُوَ مريضٌ مُثْخَنٌ بالمرضِ، ومرضُهُ مُتَرام بِهِ إِلَى التَّلَفِ، وَلاَ يشعرُ بمرضِهِ، وَلاَ يخطرُ ببالِهِ مداواتُهُ، وهذا مِنْ أعظمِ العقوبةِ العامةِ والخاصةِ. فأيُّ عقوبةٍ أعظمُ مِنْ عقوبةِ مَنْ أهملَ نفسَهُ وضيَّعَها، ونَسِيَ مصالِحَها وداءهَا ودواءها، وأسبابَ سعادَتِهَا وفلاحِهَا وصلاحِها وحياتِها الأبديَّةِ فِي النعيم المقيمِ !

قَالَ عبدُ الله بنُ المبارَكِ:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ القُلُوبَ * وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا

وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ القُلُوبِ * وخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا

وهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إلاَّ المُلُوكُ * وأَحْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا[1]

تاسعا: أهمية الحوار: الحوار مطلبٌ ضروريٌّ للدعاة والمصلحين والقائمين على أمور المسلمين والذي يهدف إلى فهم الرؤى والأفكار وتبادل الخبرات ومراجعة المناهج والوسائل ومعالجة المشكلات والأزمات. فلابد للدعاة أن يكونوا على بصيرة من أمرهم، ودرايةٍ بأحوال الناس، ومراجعةٍ للمقاصد والأهداف، وتحاورٍ وتشاورٍ فيما بينهم لتوحيد الكلمة: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 164، 165].

عاشرا: درسٌ في الحضارة ونعمة البحار: ﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ [الأعراف: 163]. تنشأ المدن والقرى وتنمو ويتحدد نشاطُها الاقتصاديُّ بحسبِ موقِعِها الجُغرافِيّ، ومواردها الطبيعيَّة من المعادن ووسائل الطاقة، وغير ذلك من ثَرَوَاتٍ، وِفْقًا لمشيئةِ الله، وحسبِ الموقِعِ والبيئةِ والمواردِ الطبيعيةِ، وفي هذه القصة لفتٌ لأنظارنا إلى نعمةٍ عظيمةٍ من نعم الله تعالى التي أسبغها علينا وهي نعمة البحار، وما يُستخرجُ منها من كنوزٍ وخيراتٍ قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 14]. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: 12، 13]. وهذه دَعَوَاتٌ إلى التفكُّر في نعم البحارِ وإمعانِ النَّظر في خيراتِهَا ومنافعِها التي لا تُحصى، ودعوةٌ إلى حسن الإفادةِ منها مع أداء شكرها.

(1) ابن الجوزي، ذم الهوى، (47).

حادي عشر: دروس وعبر أخرى

■ سنة الله تعالى في إمهال العصاة والمذنبين لعلهم يتوبون ويرجعون، وهذا من لطفه بعباده ورحمته التي وسعت كل شيء. فالحذرُ الحذر من الاستدراج، سيَّما أولئك الغارقون في بحر الذنوب الهائمون في دروب المعاصي، فإن أخذ الله شديد، وعذابه أليم.

■ الفسق والعصيان والاستهانة والاحتيال على شريعة الرحمن والعتو والظلم من أسباب النقم.

■ العتوّ: معرفة الحق وتركه والتمادي في الباطل مع ظهور بطلانه مكابرة وعنادا، وآفة تستوجب غضب الرّبّ عزّ وجلّ وتؤدّي إلى الخسران والهلاك. قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ [الطلاق8].

■ في القصة الكريمة تتجلى لنا دلائلُ وشواهدُ قدرةِ الله تعالى، وعظمته، وعدله وحكمته.

■ الآفة التي يبتلى بها مجتمع من المجتمعات إن لم تحاصر وتمنع، فإنها تستشري وتستفحل، فينبغي المبادرة إلى التصدي لها والوقاية منها، تأمل كيف انتشر التبرج والربا والمخدرات والأفكار المغلوطة في مجتمعات مسلمة، كيف بدأت من بعض أفراد لم يجدوا مواجهة حاسمة! حتى ذاع الأمر وشاع.

■ وجوب الاعتبار بقصص السابقين، والاتعاظ بعاقبة الهالكين.

■ لا ينتفع بالمواعظ إلا أولوا النهى وأهلُ التقى، فليحرص العبد على تقوى الله فهي زادُه وسبيلُه لكلِّ خير.

- من أسباب الاحتيال ما جبلت عليه بعض النفوس من طمع وجشع وميل للمكاسب الهائلة بأقل مجهود، كالمرابين وغيرهم.

- الجزاء من جنس العمل، كما قال ابن كثير: «... مسخهم الله إلى صورة القردة وهي أشبه شيء بالأناسي في الشكل الظاهر وليست بإنسان حقيقة، فكذلك أعمال هؤلاء وحيلتهم لما كانت مشابهة للحق في الظاهر ومخالفة له في الباطن، كان جزاؤهم من جنس عملهم»[1].

- تشير القصة إلى خطورة الصيد الجائر والذي يستنزف ثروات البر والبحر ويفسد البيئة.

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (1/ 134).

خاتمة البحث

1) من خصائصِ أساليب القرآنِ الكريمِ: التفصيلَ بعد الإجمالِ، والإيجاز بعد الإسهاب، والبيانَ بعد الإبهامِ، وهذه القصة كغيرها من قصص القرآن الكريم، مع ورودها في أكثر من موضوع، إلا أنه لا تناقض ولا اختلاف بل تكامل وتناسق، وانسجامٍ مع سياقِ الآيات، وامتزاجٍ بمقاصدِ السور.

2) رأينا في ثنايا هذا البحث ما يتّسم به القصصُ القرآني من شمول؛ فما من جانب من جوانب الحياة إلا ونجد في ذلك القصص ما يعالجه، كما أنه بمثابة التطبيق العملي لسنن الله وأقداره، مما يزيد العبد ثباتا ويقينا، وهذه القصة نموذج واقعي لمن يحتال على شرع الله تعالى.

3) دقة القرآن الكريم وإنصافه حيث ذكر الناجين بجميل صنيعهم، كما ذكر الهالكين بقبيح فعالهم، فكما ذكر القرآن الكريم صحائف سوداء مظلمة في تاريخ اليهود، لطالما جدّوا في طيّها، لما تنبئ عنه من سوء نية وخبث طوية، فقد جلى القرآن وكذلك السنة صفحات وضاءةً مشرقةً بمآثر صالحيهم ومناقبهم، قد اندرست أو غفلوا عنها.

4) ذكر القرآن الكريم لهذه الصفحات المنسية في تاريخ اليهود دليل على صدق القرآن وثبوت كونه منزّلا من عند الله.

5) حاجتنا لدراسة القصص القرآني واستنباط ما فيه من دروس وعبر، فأقترح مشروعا علميا للفوائد المستنبطة من القصص القرآني، ورسالة علمية عن خصائص القصص القرآني ومقاصده.

مراجع البحث

القرآن الكريم

1) ابن الجزري أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي ت 833 هـ، النشر في القراءات العشر ط دار الفكر بدون تاريخ.

2) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن (ت 596 هـ) زاد المسير في علم التفسير 1385 هـ سنة 1965 م ط المكتب الإسلامي بيروت ط1.

3) ابن الجوزي، ذم الهوى ط دار الكتب الإسلامية بالقاهرة.

4) ابن العربي الْقَاضِي أَبو بَكْرِ محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، ت 543، أحكام القرآن هـ ط دار الفكر.

5) ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، ط دار الكتب العلمية – بيروت.

6) ابن بطة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري (ت 387هـ) إبطال الحيل، المحقق: زهير الشاويش. ط المكتب الإسلامي. الطبعة الثالثة.

7) ابن حجر الهيتمي، الزواجر عن اقتراف الكبائر، ط المكتبة العصرية بيروت 1420.

8) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 1379، دار المعرفة بيروت.

9) ابن دريد، أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، الاشتقاق ط مكتبة الخانجي – القاهرة ط3.

10) ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي، ت 546 هـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 1395 هـ ط المجمع العلمي بفاس المغرب وطبعة دار الكتب العلمية بيروت.

11) ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر 751هـ، إعلام الموقعين عن رب العالمين دراسة وتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد ط مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة .

12) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة دار الكتب العلمية – بيروت .

13) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم ت 774 هـ ط مؤسسة قرطبة.

14) ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت 275 هـ، السنن، ط دار الحديث بالقاهرة.

15) أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف الغرناطي، البحر المحيط، ط دار الفكر.

16) أحمد بن حنبل المسند، ط المكتب الإسلامي بدون تاريخ، ط مؤسسة الرسالة

17) الألوسي، شهاب الدين السيد محمود (ت 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط دار إحياء التراث العربي ط 4 سنة 1405هـ.

18) البخاري، الجامع الصحيح ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

19) البغوي، أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (ت 510هـ) معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط دار إحياء التراث العربي بيروت ط1: 1420 هـ

20) البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 1413هـ، ط دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة ط 2.

21) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، ط دار الكتب العلمية – بيروت.

22) الدمياطي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، 1419هـ ط دار الكتب العلمية – لبنان ط1.

23) الرازي، ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (ت 327هـ) تفسير القرآن العظيم، 1419هـ ط مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة.

24) الروياني، محمد بن هارون أبو بكر ت 307، المسند، 1416 ه، تحقيق أيمن علي أبو يماني ط مؤسسة قرطبة. القاهرة.

25) الزبيدي، محب الدين أبو الفضل السيد محمد المرتضى الحسيني الواسطي الحنفي نزيل مصر ت(1205 هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، ط المطبعة الخيرية بجمالة مصر 1306 هـ 0

26) سيد قطب ت 1966م، في ظلال القرآن، 1407 هـ، دار الشروق ط 13.

27) السيوطي، جلال الدين، (ت 911 هـ) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، 1424هـ، ط: دار هجر مصر.

28) الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي، الموافقات، ط دار المعرفة بيروت.

29) الشوكاني، محمد بن علي ت1250، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير دار المعرفة بيروت.

30) صلاح الخالدي، مع قصص السابقين في القرآن، ط دار القلم دمشق .

31) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت : 360هـ) المعجم الكبير، مكتبة العلوم والحكم - الموصل ط2، 1404 - 1983. تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي.

32) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت: 360هـ)، المعجم الأوسط، ط دار الحرمين - القاهرة، 1415. تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد أعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.

33) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن للإمام ت310هـ المحقق: أحمد محمد شاكر ط مؤسسة الرسالة - الطبعة: الأولى، 1420 هـ.

34) العمادي، أبو السعود محمد بن محمد مصطفي الحنفي (ت 982 هـ)، إرشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب الكريم، ط دار إحياء التراث العربي. بيروت.

35) فخر الدين الرازي ت 606 هـ، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) 1405 هـ ط دار الفكر.

36) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، 1987، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

37) مجاهد بن جبر أبو الحجاج، تفسير مجاهد (ت: 104هـ) ت د. محمد عبد السلام أبو النيل ط: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر ط1، 1410 هـ.

38) محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، 1418هـ/ 1998م، مؤسسة الرسالة ط10.

39) محمد عبد الوهاب بحيرى، الحيل في الشريعة الإسلامية،1394 هـ سنة 1974 ط السعادة.

40) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ت 261 هـ الصحيح، دار إحياء الكتب العربية بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.